العلم والعدل:
ميزان الحكم والإنصاف

قال الله -تعالى-:
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

قال الإمام الطبري -رحمه الله- في "تفسيره":
يا أَيُّها الذين آمَنوا باللهِ وبرسولِه محمدٍ، لِيَكُنْ مِن أخْلاقِكم وصِفاتِكم القيامُ للهِ شُهداءَ بالعدلِ في أوليائِكم وأعْدائِكم، ولا تَجُورُوا في أحْكامِكم وأفعالِكم، فتُجاوِزوا ما حدَّدْتُ لكم في أعدائِكم لعَداوتِهم لكم، ولا تُقَصِّروا فيما حدَّدْتُ لكم مِن أحكامي وحُدودي في أوليائِكم لوِلايتِهم لكم، ولكن انْتَهُوا في جميعِهم إلى حَدِّي، واعْمَلوا فيه بأمْرِي.

وقال الإمام الطبري -رحمه الله-:
يعني -جلَّ ثناؤُه- بقولِه: ﴿اعْدِلُوا﴾ أيُّها المؤمنون على كلِّ أحدٍ مِن الناسِ، وليًّا لكم كان أو عدوًّا، فاحْمِلوهم على ما أمَرْتُكم أن تَحْمِلوهم عليه مِن أحْكامي، ولا تَجُورُوا بأحدٍ منهم عنه.

قلت: إن العدلَ من أعظم الأصول في الإسلام التي أمرنا الله -تعالى- بترسيخها وتطبيقها بالقول والعمل، حتى مع مَن ظلمنا وقتل أهلنا واستبدَّ علينا. ومن العدل الشرعي عند أهل السنة أن يُعامل الظالم بالعدل، وأن لا نقولَ إلا حقًّا، قال -تعالى-: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:
الأصول الثابتة بالكتاب والسنة والإجماع هي بمنزلة الدين المشترك بين الأنبياء؛ ليس لأحدٍ خُروجٌ عنها، ومَن دخل فيها كان مِن أهل الإسلام المَحْضِ، وهم أهل السُّنة والجماعة.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:
ولو قُدِّر أن المسلمين ظَلَمَةٌ فَسَقَةٌ، ومُظهرون لأنواعٍ من البدع التي هي أعظم من سبِّ عليٍّ وعثمانَ، لكان العاقل ينظر في خير الخَيْرين وشر الشرَّين. ألا ترى أن أهل السنة وإن كانوا يقولون في الخوارج والروافض وغيرهما من أهل البدع ما يقولون، لكن لا يعاونون الكفّار على دينهم، ولا يختارون ظهور الكفر وأهله على ظهور بدعةٍ دون ذلك؟

قلت: إن رافع لواء السنة، اللواء الذي كان عليه النبي ﷺ وصحابته الكرام، هو حاملٌ للواء العدل، فلا يعرف رافعه الكِبْرَ ولا الظلم ولا البغي، فهو عبدٌ لله قائمٌ بأمره ما استطاع، ولا يستجيز لنفسه ولا لأهله ولا لمن حوله الظلم أو البغي، فالعدل الشرعي هو الأساس الراسخ الذي لا يتغير بتغير الظروف أو المصالح. إن العلم الشرعي والعدل هما الميزان الدقيق الذي يحقق العدل والإنصاف في جميع الأحوال والظروف.

قال -تعالى-:

﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾.

كتبه: محمد عثمان العنجري

السبت ٢٤ ربيع الأول ١٤٤٦هـ

الموافق ٢٠٢٤/٩/٢٨م